www.diwanalarab.com

مكتبة ديوان العرب تقدم لكم

المجموعة القصصية الأولى للشابة الصاعدة

دانية محمود عمار

شجرة الزيتون

الإهـــداء

إلى بحر الحنان ..

إلى صاحبَي قلبٍ أحبَّني مدَى الأزمان ..

إلى من كنتُ معهما سفينةً هما لها نِعمَ القائدُ والرُّبان ..

ها قد وصلتما بي إلى برِّ الأمان ..

فنقشتُ من أجلكما يا والديَّ كلماتي الحسان ..

وإليكما أهدي ما كتبت ..

حفظكما لي إلهي الرحمن ..

ابنتكما .. دانية محمود عمـار

خلفَ كوالِيسِ الظَّلام

راحت خيوط الشمس تودِّع أمواج الشاطئ و صفحة الماء الذهبية ، لاجئة إلى كوخها في الأعماق ، السماء تكتسي عباءتها السوداء ,حزناً

على رحيل رفيقتها ، وعلها تحتمي من البرد القارس .. .. على حين غرة .. رأينا النجوم تنطلق إليها بشعاع ساحر من الدفء .. حلةً تُعزِّي حلكة ملاءتها ، وانسابت نسمات عذبة تداعب السكون ، وانبثق من بين الديم ضوء صامت أضاف للسكون سكوناً .. ها قد جن الليل ، فهدَّأت الرياح الغاضبة من روعها ، وبكل أدب التزمت الأمواج المهاجرة الصمت ، وخلد الجميع إلى النوم بغطاء نسجته أنامل الراحة الحنون ،بمغزل الهدوء والسكون ، إلا أنا .. كنت غارقة في بحر آخر، ماؤه من نوع عجيب ، وأسماكه ملؤها الأرق مثل باقي الأسماك ، تستحي أن يغمض لها جفن عن حراسة كنوز البحر في الليل .. إنه بحر يحوي كل شيء ، بالطبع سوى هذا الذي يدعى النوم ، فأسر إلي الملل أن أقوم للمشي قليلاَ ، أخذت أسير وأسير ، وأتبع الخطوة بشقيقتها ، لكن .. فجأة.. قطع حبال وحدتي صوت ضعيف .. إلا أنه متفجر بالضيق والغضب :

هيه !! ما هذا أيتها الفتاة العبقرية ؟ لقد أيقظتِني سبات عميق ، وحلم رقيق !

لم أفطن جيداً لما يدور ، بيد أني بصرت بالمتحدِّث رملة ذهبية ..ضحكت مع نفسي كثيراً بصمت كي لا أوقظ الصامتين حولي ، وحاولت تدارك الموقف المحرج نوعاً ما، فقلت : وماذا كنت تحلمين يا حلوة؟

ردت بلهفة : آه .. يا ليل ما ذا عساني أقول ؟.. رأيت في منامي أن الأمواج قذفت بمحارة بديعة الألوان يملؤها اللؤلؤ ، وشاء الله أن أسكن بجعبتها ، ثم أنتقل وإياها في البحر من شاطئ إلى آخر ، وأخيراً .. أستقر في عقد لؤلؤ لحورية بارعة الجمال ، ذات عينين واسعة دعجاء ، وخدين كتفاحتين حمراوين ، خرجتا من شجرة مدهامَّة تتوسط بستاناً في كوكب الأحلام ، أسنان هذه الحورية صغيرة ناصعة البياض, كأنها صفٌّ من اللؤلؤ ، وفمها تماماً كالفستقة ! ، أما شعرها فهو أطول بكثير من نهر النيل ، وأشد نعومة من الحرير ، أسود من سماء الليلة ، ولمسة من بطن يدها ، تكفي أن تجعلك أسعد كائن في الأرض .. بل في المجموعة الشمسية والمجرة عن بكرة أبيها ! ..

وتحدثت نفسي مُعلقة بصمت : معذورة ..عقلها بحجم جسدها !! ، ثم بحت لها بعد أن امتلأ عقلي بعلامات التعجب والاستنكار : هاهاها.. من قال لك أنها سترضى برملة في عقدها ؟ وثمة أمر مهم .. ألا تخافين أن تتزوج الحورية من أخطبوط بخيل , فيحتفظ بمحارتك ومجوهرات زوجته في خزينة موصدة الأبواب، وتظلين أبد الدهر في وحدة مثلي و..

لم تدعني أكمل حديثي الذي ظننتُه لا يُمل : أعوذ بالله .. أعوذ بالله ، هيا اغربي عن وجهي وإلا ..

سارعت بالفرار من ساحة المعركة، فأنا بين فكَّي كماشة من الرمال ، التي استيقظت شدتها العصبية القبلية ، وأرادت أن تشن علي حرباً وتلوث ثيابي آخذة بثأر ابنة جلدتها .. لا بأس .. أعترف بأنني بالغت في ردي القاسي عليها ، الآن عرفت لمَ أسهر دائماً مع الوحدة ، ربما لأنني أباغت الآخرين بالحقيقة المتوقعة ..

هكذا استسلمت للوحدة ، لأنني حقاً وحيدة ، فالكل يأبى إلا أن يلتزم الصمت ، كأنهم بانتظار حكم القاضي عليّ بالشنق، تسللت من عيني دمعة غاية في الدفء ، هرولت بسرعة إلى حضني ، ثم تأملت في ملياً , وفجأة صرخت بأعلى صوتها : النجدة .. آه .. أنقذوني ..

نعم .. فلقد انقلبت واختلطت بالبحر الذي لا يفقه إلا لغة الأمواج ، وأصبحتْ صامتة مثله تماماً ! ، تتوقف الأحداث هنا .. حين زمجر البحر بقوة ، وملأ دفتيه بالسفن ، وصاح الديك لمقدم نور الشمس .. نور الحرية.. نور السعادة .. نور الأمان لكن .. لا مفر لا بد أن يعود الليل ! .

آليت ألا أبيعه !

في غرفة كئيبة .. كان شباك وباب وحائط .

بادر الحائط :

ما هذا يا أصدقاءْ ؟

سئمت البقاءْ ..
أقف طول العمر بلا جلوس ولا هناءْ ..
وهذه الشمس الصفراءْ ..
أجاهدها .. أعيش معها في عناءْ ..
****

أجابته النافذة :

حالكَ أرحم مع شمس الشموسْ ..
وأنت تودُّ الجلوسْ ..
أما أنا فأريد الانطلاقْ ..
للحرية أشتاقْ ..
حيرني الناس يا رفاقْ ..
فتارة ينادونني نافذة وتارة شباكْ ..
تركوني معلقة في فتحة بلا حراكْ ..
****

رد عليهما البابْ :

ماذا دهاكم يا أحبابْ ؟
فأنا لدي من أعظم الأسبابْ ..
ما يذرني ليل نهار في عذابْ ..
يلعبون بيدي كيف يشاؤونْ ..
يعلقون على وجهي ما يريدونْ ..
والمسامير يدقونْ ..
مسماراً تلو المسمارْ ..
وبعض الصغارْ ..
يفتحونني بلا رحمة ولا رأفة ولا وقارْ ..
نحن نحفظ للناس هنا كل الأسرارْ ..
ما نلقى منهم إلا فعل الأشرارْ ..
نفايات .. نوافذ مكسورة ودمارْ ..

سئمنا الانتظارْ ..

في أرضنا المشئومة .. لا رخاء ولا انتصارْ ..

نريد أن يأتينا المال المدرارْ ..

بلا جهد ، ديناراً فوقَ الدينارْ ..

أحبائي .. يا نافذة ، يا جدارْ ..

ما رأيكم ؟ لننطلق , نجوب البلاد .. نجرِّب الأسفارْ ..

****

أيدته النافذة :

معك الحق يا صديقْ ..

نحن نعيش في أرضنا التعيسة , وملؤنا الضيقْ ..

هيا نطوف بالبلادْ ..

نرى الحياة والعبادْ ..

فلنشد الرحالْ ..

نسير بين البحار والرمالْ ..

نلتمس السعادهْ ..

لا نظل متسمرين هنا بكل بلادهْ ..

****

قال الحائط باستنكار :

ويحكم .. ماذا تقولونْ ؟! ..

أتُراكم على قيد الحياة أم نائمونْ ؟ ..

من أين لنا عبور الجبال والبحيراتْ ؟ ..

لا نملك أقدام أو عجلاتْ ..

هل سنطيرْ ؟

ثم إلى عالم الغيب نصيرْ ! ..

****

قال له الباب :

لنفكر في رويّهْ ..

سنجمع الأموال , ونعجب البريهْ ..
بفكرتك هذه الذَّكيهْ ..
نحن لن نسافر في البرِّيهْ ..
فأرضنا صحراء شقيَّهْ ..
أسرعوا نادوا الهواءْ ..
ينقلنا عبر الأجواءْ ..
دون تعب ، دون عناءْ ..
اهجروا أرضنا الجرداءْ ..
لا نريد لها العودة.. ولا نريد بها البقاءْ ..
انظر أيها الإنسانْ ..
ها نحن نحلق بأمانْ ..

****

طاروا .. ثم سقطوا بخيبة وخذلانْ ..
و كان هذا آخر ما لفظوا من أقوالْ ..
تخلت عنهم كل الآمالْ ..
لم ينفعهم هجر الوطن ..
باحثين عن الأموالْ ..
تسمع قصتهم أرض ورمالْ ..
النافذة .. صارت في أسوأ حالْ ..
والباب في نظر الناسْ ..
انقسم نصفين .. والتقط آخر الأنفاسْ ..
والجدار أحجارْ ..

****

وطني أكبر دارْ ..
أنا فيه أسعد الأحرارْ ..
وطني لكَ حبي .. لك ودي .. يا وطن الخير المدرارْ ..

وطني لك حبي .. لك ودي .. ما طلعت شمس أو غاب نهارْ ..
كلما غرَّدت الأطيارْ ..
لك حبي .. لك ودي .. مهما دار الزمن الدوارْ ..

معاهدة !

القطة كانت منهمكة بالتنقيب عن وجبة دسمة (فأر غبي .. يعاني سمنة مفرطة) ، ووسط انشغالها .. انقضت عليها شبكة صيد شريرة ، أجبرتها على أن تستنجد بفأر رآها , فارتسمت على قسمات وجهه ابتسامة عريضة ، فقالت له :

ما بالي أراك يا صغيري في سعادة ؟ ، وأختك المسكينة تصارع السجونْ ..
رضا الله عليك يا بني .. مد لي يد العونْ ..

وسرعان ما جاء الرد على لسانه :

أضحكُ على الصياد الذي وقع في المصيدهْ ! ..
ثم إني لن أساعد من بعد الحرية يلتهمني يا مقيدهْ ..

وبلغة التلطف تكلمت القطَّة :

معاهدة سلامْ ! ..
خلصني وسأكون بمعشر الفئران .. أرحم من الأنامْ ..

قال الفأر السمين :

كلام القطط مع الفئران ليس بموثوقْ ..
تعلمت هذا في كلِّية الحقوقْ ..

قالت له القطة :

تخلع أنيابي بعد الخروجْ ..
ثم نذهب عند قطعة جبن في المروجْ .. !

وبغير تردُّدٍ أجاب الفأر :

مروج وأجبان ؟! ..
سأقرض الشبكة ، وأصل بك إلى برِّ الأمانْ ..

وبكل مكر :

مع أحبابنا الفئران بعد اليوم لا إرهابْ ..

فنحن وإياهم من أكبر الأحبابْ ..

أسرع يا ولدي لتخلع الأنيابْ ..

أيها الصغار والكبارْ ..

قرَضَ فأرُنا الشبكة التي كالأسوارْ ..

وطلبت منه القطة أن يدخل فمها الذي يخبّئ له الأسرارْ ..

تقدم وهم بخلع الناب الأول بجدٍّ وجدارهْ ..

فابتلعته القطة الغدارهْ ! .

شجرة الزيتون !

غسلتُ الأواني ..

أخرجتُ أوراق الشجر المتراكمة من الشرفة ، و أنا أردد الأغاني ..

أعدتُ الألعاب إلى بيوتها في ثواني ..

طردتُ الغبار المزعج خارج المنزل بلا تواني ..

ومع دعوة من أمي بالتوفيق ، والربُّ قد حماني ..

خرجتُ أجلب الماء العذب من جبِّ القرية العميقْ ..

بقيتُ أنتظر الجارات ومعزاتهن , يأخذن الماء ، وقد ازدحم بهنَّ الطريقْ ..

وبدأ يغريني عطر الزهور والرحيقْ ..

وروعة الطبيعة ومقدِم الربيعْ ..

فاستلقيت على بساط العشب الأخضر البديعْ ..

في ظل شجرة زيتون طاعنة في السن ، وحولها تتفيأ الظلالْ ..

كانت تصغي باهتمام إلى تغريد العصافير الجميلة فوق التلالْ ..

سحرني وإياها عبير الورد الذي يرتع مع الفراشات والطيورْ ..

في السماء الصافية والغَيم بها يرقص ويدورْ ..

داعبت أجفاني بلطفٍ نسمات الربيع الحانيهْ ..

وأخذني اخضرار الأرض المبتهج ، وقطوف أشجارها الدانيهْ ..
فقلت لها بتلهف : لمَ أنتِ خضراء يا أرض ؟
أمرتني أن أحضر صفاراً من صفار الشمس ، وزرقة من زُرقة السماءْ ..
طلبت من الشمس صفاراً ، ونعتُّها بقولي : يا كريمة الكرماءْ ..
قالت إني إذا أخذت الثياب التي نشرتها لتجف ثم نفضتها سأجد غايتي ..
وفعلاَ أسرعت إلى فعل هذا وسجنت الشعاع الأصفر بحقيبتي ..
ثم رجوت من السماء أن تعيرني من زُرقتها ، فأمرتني أن أُطلق سراح حمامتي فعادت إليَّ في غضون ثوانٍ قِلالْ ..
تحمل ما أردت في سلالْ ..
قالت الأرض : امزجي هذا الأزرق بذاك الأصفرْ ..
مزجتهما وإذا بخضرة الأرض تظهرْ ..
عرفت السر والحمد لله .. لقد نلت هدفي المرومْ ..
وبعد أيام من الشهرة والصحافة ولقاءات النجومْ ..
زدت عدد العرب الحاصلين على جائزة نوبل في العلومْ !
اختطفت الجائزة من جنيف بتلهُّف وسرورْ
وسافرت إلى البرازيل وهناك اشتريت مزرعة للبُن والتمورْ
كي أوفر لأمي وصديقاتها ما يحتجنه من القهوة في جلسات السمر والحبورْ ..
أهديت لأبي جميع كتب اللغة التي في مكتبات القاهرهْ ..
وبالتأكيد من إيطاليا .. أتيت بالمكرونة وجبة أخي المفضلة ..
وأرسلتها له بالطائرهْ ..
ولم أنس لأختي الكبرى العطور الباريسية الفاخرهْ ..
ومصنع الحلوى المجاني لصديقاتي ..
وزيادة رواتب معلماتي ..
ومن اليابان أحضرت حافلة جديدة لمدرستي الغاليهْ ..
وأمرت بإحضار قطيع من الغنم لجدتي الحانيهْ ..
كي تحلبه وتنمي موهبتها في غزل الصوف ..

الذي تدفئ به أجساد الصغارْ ..
وزعت الأدوات المدرسية التي جئت بها أثناء زيارتي للصين ..
على الأطفال المحتاجين في كل بيت ودارْ ..
ولا تسألوني بمَ أتيت من أمريكا ؟
لم آتي بأعظم الدبابات والقنابل الذريَّهْ ..
بل أتيت بشاحنات أمريكيّهْ ..
كي أخرج جميع اليهود من فلسطين الأبيَّهْ ..
لن أدمر البيوت فوق رؤوسهم اللعينة الدنيَّهْ ..
ولن أفزع أطفالهم في المدارس .. وعند اللعب على قارعة الطريق ..
لن أغدر بهم كما غدروا بنا ..
ولن أسمم البئر لأحرمهم من مائِهْ ..
لكني أتيت برأس بوش وقد استحم بدمائِهْ !
المهم .. صرت محل اهتمام كل الأولاد والبناتْ ..
ومثلهم الأعلى في كل الغاياتْ ..
وراحت صوري تتوسط الصحف وأبواب المختبراتْ ..
وأخيراً .. ركبت الصدارة في موسوعة جينيس للأرقام القياسية ..
كأول عالِم يجري تجربة ناجحة خلال 24 ساعهْ !
صدقوني إنها دعوة أمي الحبيبة وإذعاني لها بالطاعهْ ..
فثلاثة لا تُردُّ دعوتهم ومنهم الوالدانْ ..
لكن أمي أيقظتني بحنانْ ، وصوت يبدو غضبانْ :
أين الماء الذي طلبته منك البارحة يا ابنتي ؟! .

كَي لا تؤذيَكم الشمسُ !

في مدينة الكسالى ، توالت عقود الزمان الكثيرة ، وفي كل مرَّة يأتي الصيف عليهم بقسوة شمسه التي تجالس السماء , وتظل تثرثر لها طيلة النهار بلا رحمة ، حتى إذا جاءت السحب طارقة باب السماء ,

مريدة التخفيف عنها من شرور شمس الصيف ، فتردهم هذه الأخيرة بخفي حنين :

ما الذي جاء بكن ؟ الدنيا صيف ! ثم إن السماء مشغولة ! ارجعن في وقت لاحق .. .. فتعود الدِّيم السكوب مطرقة رأسها ، بلا قدرة على الاعتراض ، فإن ناقشنها قالت لهن :

كفى جدالاً معي ، ألست من حملتكنّ – بإذن الله – تبخيراً من الأرض , إذ كنتن ماء مهيناً إلى السماء .. حيث العزُّ والرخاء ؟!

هكذا كانت حال الشمس .. في أرض شُغِل أهلها .. بالنوم والتثاؤب واللعب والكسل ، لذا أرهقتهم بالجلوس عالة طوال النهار بقسوة حرارتها، تضيّع الوقت بلا فائدة .

أمَّا في أرض أخرى فقد كانت شمس الصيف ، تساعد امرأة منهمكة بتجفيف ثياب زوجها وأبنائها ، وفي نفس الأرض كانت تُعين أحدهم في إنتاج الطاقة ، وأيضاً تساعد بظلها رجلاً عجوزاً , أراد اكتشاف طريقة تحدد أوقات الصلاة لأهل مدينته، وآخر ساعدته في تقوية زرع زرعه بجهد عظيم ليأكل ثماره أبناء وطنه حتى يقوى قوامهم ، ويكونوا خير حماة للوطن ، وغلام كان يتعلم باجتهاد ليرفع شأن أُمَّته ، أعانته بضوئها أثناء استذكاره .

كل هؤلاء وغيرهم الكثير لم يشعروا بحرارة شمس الصيف لأن عقولهم شُغِلت بالعمل ، فلم يكن لشمسهم أن تلهو بالثرثرة مع السماء ، فأبناء مدينتها في أمس الحاجة إليها .. شتان بين الجدِّ والكسل ! .

اعملوا كي لا تؤذيكم الشمس بأشعتها ! .

محاكمة التلوث

في محكمة دولية للعدل والقضاءْ ..

أرضٌ جرداءْ ..

دخان ملأ السماءْ ..

هواء أسود كالليلة الظلماءْ ..

أرسلت مع الرمال الزاحفة تقول في حزن وبلاءْ :

أيُّها **التلوث** المتكبر وبنفسه مخدوعْ ..

سنريك ما معنى إفساد الطبيعة ، ولن يُرى لك بعد اليوم رأس مرفوعْ ..

****

ولأن الرمال الزاحفة لا تعود إلى الوراء للأسفْ ..

أرسل التلوث رسالته مع منبه سيارة بإزعاج هتفْ :

أيها المتحدث .. كيف تجرؤ ؟ إنه لا يسمح بالتحدث معي هكذا أي قانونْ ..

ألا تعرف من أكونْ ؟

وأن الذي أنتجني ذاك الإنسان المجنونْ ..

شُغِلَ بحضارة زائفة ، وادّعى التطور والفنونْ ..

فجئت أنا لأهذبه وأريه العجائب و الفتونْ ..

مهمتي شريفهْ ..

كُلُّها آداب وأخلاق طاهرة عفيفهْ ..

****

ردَّ عليه ماءٌ قد جفَّ منذ الزمن القديمْ ..

وهواء به من ثاني أكسيد الكربون جزء عظيمْ :

يا رجل ! عذِّب الإنسانْ ..

لكن .. ما ذنب نخلتنا هذه والحيوان ؟

****

- رد التلوث بثقة :

لأن الشجرهْ ..

وكل حشرهْ ..

وجميع ذرّات الترابْ ..

ونسيم الربيع العذب مع عزف الربابْ ..

وقطرات الماء الصافية يبعثها السحابْ ..

هي وغيرها الكثير لابن آدم تكون بيئهْ ..

له فيها حياة طورها ببعض الأساليب الدنيئهْ ..

أنا عنها بعيد و**ملوثاتي** منها بريئهْ ..

****

قالت له حديقة حطّمتها العواصف الملوثة :

لو أنك جلبت له الأمراض و العللْ ..

وحطمت بعواصفك مصانعه فلم يجد العملْ ..

وجلس يعارك المللْ ..

لكن .. دع لنا الشجرهْ..

والوردة والثمرهْ ..

لكن .. دع لنا البيئة الجميلهْ ..

والغدير الرقراق في الخميلهْ ..

****

وبتناقض شديد أجاب التلوث :

يا أصدقاءْ ! ..

الإنسان يهوى الشقاءْ ..

لن يتأدب إلا إذا قررنا على كل شيء **التلويث** والفناءْ

في التربة و الماءْ ..

في الطعام والهواءْ ..

نوظّف الضوضاءْ ..

هو لا يحبُّ بيئته لا الأرض ولا السماءْ ..

****

قالت له أمواج تشبعت بنفط سفينهْ :

يا من **لوثتني** وقتلت الأسماك في أحشائي الدفينهْ ..

انتبه واحذرْ ..

لقولك وفيه جيداً تفكرْ ..

ارتكبت اثنتين من الجرائمْ ..

أولاها **تلويثك** البيئة بالقمائمْ ..

آخرها اتهامك البشر على كرتنا الأرضيهْ ..

بكره بيئتنا الطبيعيهْ ..

فاهدأ وصلِّ على حبيبنا الرسولْ ..

وتأكد مما تقولْ ..

قبل أن تصيح مطرقة القاضي الآنْ ..

فيفوت الأوانْ ..

ويصدر الحكم عليك في كلِّ الأكوانْ ..

****

أخذته العزة بالإثم وقال:

كل ما لدي قلته بلسان صريحْ ..

وأنا على يقين أنه صحيحْ ..

انطقوا بأحكامكم فأنا سأقبل الجميل منها والقبيحْ ..

تماماً مثل قبولي الثناء والمديحْ ..

****

قالت سحابة دخان ممسكة بالمطرقة :

يبدو أنك تريد القضاء على حريتك التي كانت بلا حدودْ ..

كما قضيت على بيئتنا من زهور و ورودْ ..

****

قال الجميع للتلوث ..

بصوت واحد يبشر بالرقيِّ والصُّعودْ :

قررنا على **الملوِّث** الغدارْ ..

أن يخرج من بيتنا والدارْ ..

يمضي باقي عمره خلف الأسوارْ ..

تبقى بيئتنا الغالية في ازدهار ..

بعيدة عن كل الأخطارْ ..

تحمل أسمى شعارْ ..

هو شعار الاخضرارْ .

علبة الهندسة

منذ زمن ليس ببعيد عاش أولادٌ أشقياء مهملون كبعض التلاميذ الذين تعرفونهم , متفجرون بطاقات شريرة من المشاكسة والشغب ، يضيقون ذرعاً بدروس الرياضيات , وينثرون أدواتها الهندسية ، ملّت هذه الأخيرة من الحياة الفوضوية القاسية ،التي تخالف ما نشأت و ترعرعت عليه في كتب الرياضيات من الدقة والنظام ،فأسرت إليهن المسطرة العاقلة المستقيمة بخطة رائعة .. انطلقت مسرعة لتنفيذها مع قلم الرصاص ومثلثات الرسم والمنقلة و الفرجار.

حالاً .. خرج سنتيمتر مكعب من المسطرة , واختبأ تحت التراب كأنه بذرة , ثم وقفت فوقه المسطرة , وعلَيها مثلثات الرسم الصغيرة , وفي الحال صار لدينا شجرة يانعة , بينما كانت المثلثات الكبرى تصطف خلفها بانتظام , لتكون كالجبال الرواسي ، أما صديقتنا المنقلة فقد عانقت كبد السماء , وأصبحت شمساً بشوشاً وضاءة ، وراح قلم الرصاص يكتب بخطه البديع عنواناً لهذه اللوحة الجميلة :

(النمل الصغير يسير بنظام ، إذاً .. ألسنا أحق بأن نكون منظمين ؟)

.

وفي مكان ما .. كـان أولاد بؤسـاء يبحثـون بحـزن وأسـى عـن أدواتٍ هندسية !!.

ابتسامة .. بعد تقطيب !

((دعني أيها الشقي !)) ..

هذا ما قالته وردة حمراء جميلة رقيقة ، حين قطفهـا أحـد الصـبيان ، أخذت تبكي بحرقة ، وتلطم خـدها نادبـة حظهـا السـيئ ، وتحلـم مـلء جفونها أن نسمة عذبة تحملها بحنان , وتغرسها مرَّة أُخرى ، كما تمنت أن تعطـي الصـبي الـذي اختطفهـا لكمـة قاسـية ، وأن تلقنـه درسـاً لا ينساه مادام على قيد الحياة ، كي لا يقطف وردة بعد الآن .

طرَق هذا الولد باب منزلـه ، وتقـدمت خطواتـه مسـرعة ، لقـي أمَّـه وقدم لها التحية بلطف بالغٍ ، فبادلته بأحسن منها ، ثم قدم لوالدته بكل حب وتقدير تلك الوردة الحمراء ، قبلته أمه بحنان ، وجعلـت مـن حضـنها الدافئ مرفأً له ، ومن أعماق قلبها الصادق دعت له بـالتوفيق والسـداد في الدارَين ، وأعلنت رضاها عنه.

ابتسـمت وردتنا .. وجففت دموع الفرح بأوراقها الميسـاء ، وقالت بكلِّ افتخار:

أنا الآن أسعد وردة في العالم ! .

قال تعالى : [وَقَضى ربُّكَ ألا تَعبُدوا إلا إيَّاهُ وبالوالِدَيْنِ إحسَاناً]

مع الجاذبية ..

بات ياسر يردد حانقاً:

لا .. لا للجاذبية الحمقاء ، لولاها لحلّقنا في جو السماء ، ولم نشـعر للأشـياء بثقـل ولا وزن ، ونجونـا مـن مسـافات السـفر ، وتخلصـنا مـن حـر الصيف , وزمهرير الشتاء .

لو لم تكن الجاذبية .. لرأينا الألعاب تتناثر حولنا , لهونا بألعاب تمنينا شراءها لا يدعي أحد أنها له وحده ، و تبخرت كل الصفات السيئة فارتاحت قلوبنا، صار البخيل كريماً، والمؤذي مصلحاً ، واللص أميناً ، والكاذب صادقاً ، والظالم عادلا ، والشقي سعيداً ! .. وصار الإنسان حراً طليقاً يملك الأرض بأكملها ، ولولا الجاذبية لصرت أعظم رحالة في العالم ، أتنقل فيه بسهولة .

جمع صديقنا جميع أبناء الحارة ومضوا في الأزقة والشوارع يرفعون صوتهم بعبارة ياسر : لا .. لا للجاذبية ، رغم أنهم لم يفقهوا أي شيء منها ! ، وعلى حين غرة سمع صوت الأمهات ينادين على أبنائهن : هيا يا صغار.. الغداء بانتظاركم، وفي غضون ربع ثانية اختفى الصغار عن بكرة أبيهم ، فلم يسمع ياسر من يردد معه غير صوت الصدى ، ووقع خطواته البائسة التي تهيم بلا هدى ، اغرورقت عيناه بالدموع ، وسكنت في قسمات وجهه كآبة وضيق مرير، تسمر وألقى رأسه بحزن على جذع شجرة عظيمة ، وارفة الظلال ، وأخذ يتحدث مع وحدته بصمت : تبا لها .. كم تمنيت أن أصبح بقدرة الصقر ، أعانق السحب المثقلة بالماء ، أشرب من مائها العذب الطهور ، وعندما تختبئ الشمس خلف الغيوم في الشتاء ، ويصير الجو قارساً ، وتتساقط الثلوج حولنا ، أطير إليها .. وينالني دفؤها المروم .. بيد أن صوتاً مكفهراً قطع حديثه قائلاً :

هيه .. اتق الله فينا يا رجل ؟

قفز الرجل الصغير ياسر من هول المفاجأة ، تلفت يمنة ويسرة ، من أين أتى هذا الصوت ولاشيء هنا غير أشباح الأشجار الضخمة ؟ ، شعر بالرعب , وابتلع ريقه وأحس فيه المرارة ، ونطق بصعوبة : عفواً .. لا أرى أحداً .. من يحدثني ؟ ..

رد الصوت الغامض :

انظر في التراب ..

عينان كبيرتان ، أسهم لا تعد ولا تحصى ، تتصاعد إلى أعلى ، قطع هائلة من الحديد والمعادن ، صناديق بها أشياء فقدت أصحابها ، هذا ما رآه ياسر عندما نظر إلى حفرة عميقة بجواره لا يدري من أين أتت فقال :

ما هذا ؟

أجاب الصوت المجهول :

أنا عدوك اللدود !

رد ياسر :

أنا طفل بريء لا أعادي أحداً ..

قال الصوت متعجباً :

حتى الجاذبية ؟

أخذ نفساً عميقاً وترنح بمكر ، ثم أنغض رأسه وتحدث :

إذا هي أنت !

كلمته الجاذبية وهي تخفض حاجبها بخيبة :

لماذا أنت غاضب يا بني ؟ ، لولا فضل الله عليكم بوجودي .. لطار الشجر ، فلم يكمل نموه ، صار يابساً , واختفى معه الجمال , والثمر اللذيذ .. والماء العذب الذي يمدكم بالحياة ، كان سيتبخر ، والأرض لن يكون باستطاعتها أن تلتقط قطرات الغيث .. بيوتكم .. سياراتكم .. شوارع المدينة ، كل شيء سيهاجر في الفضاء , باحثاً لي عن أثر ، لن يعيش الإنسان في أمان .. سيفقد أبناءه .. فلذات كبده , ويفاجأ بهم مبعثرين مع السحب في السماء ، وأنت تعرف يا بني أن الأرض صديقة دربي منذ سالف الزمان ، فكيف يطاوعني قلبي على فراق أحبتي ؟

قال ياسر بسعادة كست وجهه :

أنت على حق ، فأبناء آدم .. أعداء ما يجهلون !

عاد أطفال الحي يرددون :

نعم .. نعم للجاذبية .. صديقتنا العزيزة الوفية

ابتسمت الجاذبية وقالت :

الآن يا ياسر .. عاد إليك أصدقاؤك ، وأنا لا بد لي أن أعود إلى بيتي في أحشاء الأرض ، فما كنت لأختبئ عن أبصاركم منذ القدم إلا لأني مطالبة في المحكمة بقتل عباس بن فرناس ، وأرجو ألا تكون لك صلة بمحكمة العدل الدولية ، فهي تتربص بي ، وتعد لي الأنفاس ..

قال ياسر :

لا .. لا .. ولكن .. ..

قالت : لكن ماذا ؟!

قال : أبي قاض في هذه المحكمة..

قالت الجاذبية وبدا عليها الرعب :

ماذا تقول؟

إذاً ..الوداع يا صديقي .. أراك في كل مناسبة جميلة هنية ، ولك مني أعذب تحية ، كلما سقط شيء والتقطته الجاذبية ! ..

إنها جائعة !

كان الماء يسقي الأشجار ويربيها ، فتنمو وتصبح يافعة بعد عناء طويل ، وفي يوم من الأيام ..مع إشراق الشمس زقزقت عصافير بطن النار ، واشتد عليها الجوع ، ولما رأت الأشجار العظيمة .. ملأت منها العينين .. وانقضَّت عليها وتلتهما بألسنتها دون رحمة ، ومن تلك الليلة الماء والنار في خصام شديد !! .

غضب !

قال الناس للشمس : القمر أجمل منكِ ، فاشتعلت الشمس ناراً وانفجرت غيظاً وأصبحت تنير بنار غضبها كل بقعة ومكان !! .

إلى كلِّ مغرور !

فقاعـة صـابون متكبـرة ، خرجـت ملطَّخـة بـألوان الطيـف البديعـة لـذا تعالت وأرادت الصعود إلى السماء ، فما لبثت إلا أن سقطت ثم اختفت ! .

ختاماً أيُّها الأحبة الصغار أهدي لكم تحية طيبة وأذكركم :
(إنَّ أصدق من يكتب للصغار .. هم الصغار أنفسهم)

سـيرة ذاتية
دانية محمود عمار

مع إطلالة شمس يوم الأربعاء الموافق (1414/5/19هـ) ، استهلت طفلة تضيع تقاطيع وجهها بين الوجوه التي تعبر طريق الحياة .. اسـتكانت إلى حضن أم وابتسامة أب , وترحيب إخوة , ومستقبل مشرَّع الأبواب ..

فتحـت عينيهـا حينمـا داعبـت أهـدابَها أشـعة الشـمس اللطيفـة القاسية , في مدينة أبها الجميلة .. وبعد زمن ندي فـي بسـاتين الطفولـة ..نادتهاا السحب الغائمة ، وقالت لها بعجلة :

انجي بجلدك .. فالجو بارد ، والمطر واقف بأبواب السماء ..

نقلها قوس قزح المائل , وأطيافه السبعة البديعة إلى مدينة الطائف فوق الجبل, لتجد نفسها على طاولة وكرسي دراسيين ، فغشيتها سحابة من الحيرة ! ، بيد أن صوتاً ما أيقظها من دهشتها , وهو يقول : انتبهي يا صغيرتي إلـى الـدرس ! ، فأيقنـت أنهـا فـي مدرسـة .. وكانـت المدرسـة تحفيظ القرآن الكريم ، حفظت ثمانية عشر جزءاً مـن القـرآن الكـريم بفضـل الله .. كما أحبت القراءة وأشعار العرب كثيراً ، وراحت تترنم بهـا , وتحـاول

أن تنسج على منوالها .. ولطالما تأملت تلك الرموز التي يكتب بها (أ .. ب .. ت ..) فكانت تظنها قطعاً من الدمى , تحاول إسعاد الأطفال بجملها المتواضعة ، وتتلهف في كل أربعاء لتقابل صديقتها الحميمة (مجلة ماجد) وتسعد عندها بلقاء هذه الحروف الجميلة .. لا تنسوا أنها كانت تتابع الأنباء على الشاشة الفضية بشكل جيد ، وتعطيها جلَّ اهتمامها ، فعاشت أحزان الصغار المعذبين من أشقائها , البعيدين عنها ، وأدركت أنَّ في مقدورها أن تمسح دمعة الباكي , وأن تداوي صرخة الحزين , وأن تخفف من وطأة الألم على قلوب البائسين عبر تلك الدمى الرائعة التي سكنتها الرحمة والحنان.

عشقت الوطن مع هذه الدمى بصدق .. وعاشت أمتع اللحظات في حب القلم ..

هكذا سارت الرحلة مع الآنسة قصة ، ووالدها السيد قلم ، ووالدتها السيدة ورقة , وهي في السابعة من العمر .. فكانت لكم يا أطفال العالم الأحباء ..هذه القصص الجميلة..